متغير الطاقة والحرب على الارهاب في سوريا والعراق

أ.م.د. اركان ابراهيم عدوان
جامعة الانبار- كلية العلوم السياسية

Energy's Variable and the War on Terror in Syria and Iraq

Dr. Arkan Ibraheem Adwan
University of Anbar - College of Political Science

المستخلص: تناولت الدراسة دور متغير الطاقة في تكوين وسلوك الجماعات الارهابية من خلال التطرق الى عمليات الاستحواذ على بعض مصادر الطاقة وطرق الامدادات الرئيسة في كل من سوريا والعراق، بعد الاضطرابات الأمنية والسياسية في كل من البلدين، والتي قادت الى سقوط مساحة واسعة من العراق تحت سيطرة ما أطلق على نفسه (تنظيم الدولية الاسلامية في العراق والشام "داعش الارهابي")، والذي سيطر كذلك على مساحة واسعة من الدولة السورية. وكيف أثرت هذه المسألة في توجهات وسلوك الجماعات الارهابية، ومكانتها، كونها أدت الى تزايد القدرات المالية للجماعات الارهابية، وأثرت في قدرات الدول التي نشطت فيها، إذ استنزفت جزءاً كبيراً من مواردها الطاقوية، سواء بتعطيلها وحرمانها من العوائد التي كانت تعتمد عليها، أو بتكاليف الحرب على الارهاب التي استنزفت موارد مادية كبيرة، قد تستمر تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية لفترات ليست بالقصيرة.

الكلمات المفتاحية: داعش، الطاقة، الحرب على الارهاب، خطوط الطاقة، الامن.

Abstract: The study addressed the role of the energy variable in the formation and behavior of terrorist groups by addressing the processes of seizing some energy sources and main supply routes in both Syria and Iraq, after the security and political disturbances in both countries, which led to the fall of a large area of Iraq under the control of what called itself (the Islamic State in Iraq and the Levant "ISIS terrorist

organization"), which also controlled a large area of the Syrian state. And how this issue affected the orientations and behavior of terrorist groups, and their status, as it led to an increase in the financial capabilities of terrorist groups, and affected the capabilities of the countries in which they were active, as it drained a large part of their energy resources, whether by disabling them and depriving them of the returns they depended on, or by the costs of the war on terrorism that drained large material resources, the economic and social repercussions of which may continue for periods that are not short.

Keywords: ISIS, Energy, War on Terror, Power Lines, Security.

المقدمة

تعد مسالة دراسة (الجماعات الارهابية) وتحليل سلوكها والعوامل التي أدت إلى ديمومة نشاطها لفترات ليست بالقصيرة بشكل غير مسبوق، كانت له تداعيات اقليمية ودولية كبيرة، ومنها سلوكها في مجال تهديد والسيطرة على موارد الطاقة في الدول التي سيطر عليها، وتفسير هذا السلوك، وكيف أثر في بنية وقدرات التنظيم على أرض الواقع، وانعكاساته على الدول التي سيطر عليها، وعلى أمن الطاقة الاقليمي والعالمي بشكل عام، من المسائل المهمة التي اكتسبت أهمية كبيرة من قبل العديد من الباحثين والمتخصصين من أجل تحليل وتفسير سلوك هذه الجماعات، والدوافع التي تقودها الى تحديد أهدافها وآليات تحقيق تلك الأهداف، وصولاً الى استعراض اهم التداعيات الناتجة عنها سواء بالنسبة لنشاط وقوة وتأثير الجماعات الارهابية وديمومة نشاطها، أو تأثيرها وتداعياتها على الدول التي نشطت فيها. ولذلك حاولنا في هذه الدراسة التعرف على أهم الأسباب التي أدت الى قيام الجماعات الارهابية بالاعتداء والسيطرة على بعض مصادر وخطوط إمدادات الطاقة في سوريا والعراق، باعتبارها من أهم المقومات التي ساهمت في تزايد قوة الجماعات الارهابية واتساع نطاق تهديدها وساعدها في الاستمرار

لفترة زمنية كان لها تداعيات سلبية خطيرة. من خلال التطرق الى سلوك الجماعات الارهابية في سوريا والعراق والاستحواذ الفعلي على بعض منشئات الطاقة، والتعرض لخطوط الإمدادات الرئيسة، وأهم المكاسب التي حصلت عليها هذه الجماعات، بسبب مكانة موارد الطاقة بالنسبة للموارد المالية للتنظيم الارهابي التي شكلت اكثر مصادر التمويل تأثيراً في تزايد قدراته المادية والمعنوية، وكيف أثرت على قدرات التنظيم ومكنّته من البقاء والتمدد لفترة ليست بالقصيرة، أدت الى تحويله الى كيان أشبه بالدولة، وأكثر استقلالية مالية قياساً بجميع التنظيمات الارهابية التي شهدها العالم، وكيف أثرت في سلوكه على أرض الواقع، وعلى تطور استراتيجيته وتفاعلاته داخلياً وخارجياً. ومن ثم استعراض الاثار التي ترتبت على الدول التي نشط فيها، وأيضا الاثار والتداعيات التي لحقت بالتنظيم الارهابي نفسه وتحديد مصيره.

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من خلال التطرق لمسألة مهمة تتعلق بالعلاقة بين الطاقة والأمن ومكافحة الارهاب، من خلال تسليط الضوء على أهمية مصادر الطاقة بالنسبة للأمن القومي للدولة، وضرورة حمايتها وتحييدها بشكل تام من نطاق سيطرة وتهديد الجماعات الارهابية، بسبب التداعيات السلبية الخطيرة التي تنبع من المساس بها، بالقياس على مرحلة الحرب على تنظيم داعش الارهابي في العراق وسوريا.

اشكالية البحث: نتيجة لتعقيد ظاهرة الارهاب وتعدد تداعياتها السلبية في اكثر من مجال، تتعدد بالمقابل التساؤلات التي تطرحها الموضوعات التي تتعلق بدراسة سلوك الجماعات الارهابية وسياساتها وتكوينها، ومنها في ملف الطاقة. وبالتالي، هل كان السبب الرئيس لعمليات التنظيم الارهابي في حقل الطاقة هو زيادة مصادر تمويل الجماعات الارهابية وبالتالي زيادة قوتها؟ أم ان الهدف الأساس هو إضعاف الدولتين من خلال التأثير على شريان الاقتصاد الرئيس الذي تعتمدان عليه؟ أو ربما قد يكون الهدف أوسع من نطاق الدولتين؛ فهل كان التنظيم الارهابي يسعى لخلق واقع حال يفرض نفسه ككيان موجود على أرض الواقع من خلال استغلال موارد الطاقة وحاجة بعض الدول إليها، وبالتالي الحصول على الاعتراف الدولي؟ أم إنها كانت مجرد عمليات (تخريبية) غير مدروسة ولم تكن لها رؤية استراتيجية محددة تسعى إلى تحقيقها؟ كونها

ستعطل قيام بعض المشاريع المهمة في مجال نقل الطاقة، وتؤثر بالتالي على قدرات كل من الدولتين (سوريا والعراق)؛ بمعنى انها عمليات تخريبية لا تحمل أي أبعاد ومخططات استراتيجية تسعى الى تحقيقها؟

فرضية البحث: بشكل عام يمكن القول بأن هناك تداخلاً في النتائج المتوَقعة من بعض التساؤلات المطروحة، سواء كان ذلك فيما يخص زيادة تمويل الجماعات، أم الضغط على الدولتين، فكلاهما يحققان نفس الهدف، فإضعاف الدولة يعطي الفرصة للجماعات الارهابية للنمو والتوسع، وتزايد معدل وارداتها المالية والذي يؤدي بدوره إلى تزايد قدراتها على التأثير. فضلاً عن دور القوى الكبرى والاقليمية في اطلاق يد الجماعات الارهابية في رقعة جغرافية غاية في الأهمية فيما يخص مشاريع نقل وانتاج النفط والغاز الطبيعي، وبالتالي يمكن ان نفترض بأن هناك تواطئاً دولياً وإقليمياً على ما جرى في كل من سوريا والعراق من أجل عدم تطبيق بعض الاتفاقيات الدولية حول مد خطوط نقل مصادر الطاقة بين هذه الدول ومنها الى أوربا.

منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج التحليلي لمعرفة تأثير متغير الطاقة في سلوك الجماعات الارهابية ودوره في اطالة أمد الأزمة التي شهدتها منطقة الدراسة.

هيكلية البحث: ومن أجل الاجابة عن التساؤلات الأساس المطروحة، تم تناول موضوع البحث من خلال ثلاثة مباحث رئيسة، تناول المبحث الأول: **مصادر التمويل الرئيسة لتنظيم (داعش) الارهابي في سوريا والعراق.** بينما تناول المبحث الثاني: **أهمية مصادر الطاقة بالنسبة لمكانة وقدرات التنظيم.** اما بالنسبة للمبحث الثالث، فقد تطرق الى **أثار وتداعيات استهداف مصادر وخطوط أمدادات الطاقة.**

المبحث الاول: مصادر التمويل الرئيسة لتنظيم داعش الارهابي في سوريا والعراق: ان دراسة وفهم عمليات التمويل والامكانيات المادية للتنظيمات الارهابية تمثل نقطة مهمة في سبيل مواجهتها، كونها تكشف عن امكانياتها ومكانتها وحدود قدرتها على التأثير، وأهدافها

واستراتيجياتها سواء كانت المتبعة أو المحتملة لمواجهة الخصوم؛ فمعرفة أهداف وأفكار الخصم، توفر الى حد كبير القدرة على التنبؤ بسلوكه وتحركاته، ومن ثم تساعد في محاربته واضعافه والقضاء عليه.

وحسب بعض الدراسات التي يتفق الباحث معها، يختلف تنظيم (داعش الارهابي) عن تنظيم القاعدة والتنظيمات الارهابية الأخرى، بأنه كان يخطط لتكوين كيان أشبه بالدولة، ويتحرر من مسألة التبعية الاقتصادية عبر الاعتماد على المانحين، ولذلك سعى الى ان يمتلك مصادر تمويل ذاتي عالية تجعله أكثر تحصناً ومنعّة من باقي التنظيمات الارهابية[١].

ومن ثم فإن مسألة السيطرة على موارد الطاقة تقع في قلب الاستراتيجية البنيوية للتنظيم الارهابي؛ كونه أصبح أكثر استقلالية مالية وأكثر قدرة على توفير التمويل والاكتفاء الذاتي من التنظيمات الاخرى التي تعتمد على المانحين في هذا المجال[٢]. وقد استغل التنظيم الارهابي حالة التناقض والصراعات القائمة بين القوى الدولية والاقليمية في المنطقة، من أجل تحقيق أهدافه، فلا يمكن أن تتم عملية السيطرة على مساحة جغرافية تمثل أكثر من ثلثي دولتين عربيتين كبيرتين بهذه السرعة والغموض، دون أن يكون هناك تخادم مصلحي أو ترتيبات دولية سهلّت ودفعت بهذا الاتجاه. ينظر الخريطة رقم (١):

خريطة رقم (١) تبين مناطق نفوذ تنظيم داعش الارهابي في سوريا والعراق عام ٢٠١٥.

(1) The financing of the 'Islamic State'in Iraq and Syria (ISIS), European Parliament, Policy Department, Directorate-General for External Policies, September 2017 - PE 603.835. P P 7-8.

(٢) سيث ج. جونز وأخرون، دحر تنظيم الدولة الاسلامية، منشورات مؤسسة راند RAND، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، ٢٠١٧، ص٦٥.

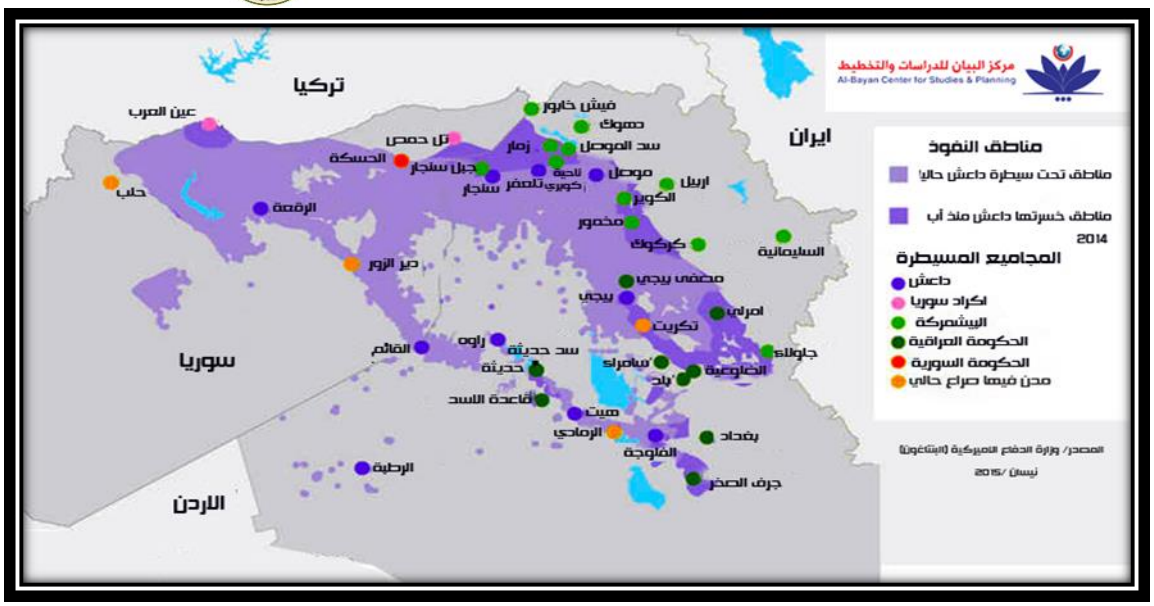

المصدر: مركز البيان للدراسات والتخطيط، خارطة نفوذ داعش في العراق وسوريا، نيسان ٢٠١٥: https://www.bayancenter.org/2015/04/799/

وكما أشرنا في فقرة سابقة فإن تنظيم (داعش الارهابي) اختلف عن باقي التنظيمات الارهابية في سلوكه واستراتيجيته المتبعة، كونه قرر أن يشكل دولة واعلنها صراحة، وبات بالفعل ككيان أشبه بالدولة ومختلف عن جميع التنظيمات الارهابية الاخرى وله انتشار في مختلف دول العالم[١]، وبالأخص بعد التحرر من مسألة التبعية الاقتصادية والاعتماد على المانحين، بعد ان امتلك مصادر تمويل ذاتي عالية جعلته أكثر تحصناً ومنعّة من باقي التنظيمات الارهابية؛ ومن ثم فإن السيطرة على موارد الطاقة وخطوط النقل والامدادات كانت تقع في قلب الاستراتيجية البنيوية للتنظيم الارهابي، هذا فضلاً عن بعض مصادر التمويل الثانوية.

فالمتتبع لأهم مصادر تمويل التنظيم الارهابي منذ بداية نشاطه في العراق، عندما كان يمثل الجناح العراقي من (القاعدة)، ومن ثم مرحلة ما يسمى (تنظيم الدول الاسلامية في العراق) من عام ٢٠٠٥ وحتى عام ٢٠١٠، يجد أن مصادر الطاقة كانت حاضرة وتشكل نسبة مهمة

(١) مجموعة باحثين، ما بعد دولة الخلافة: الايديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، تقديم: محمد أبو رمان، مؤسسة فريدريش ايبرت، عمان / الاردن، ٢٠٢١، ص ٢٣.

من واقع ايرادات التنظيم الكلّية، ولكنها لم تكن الرئيسة، انما تقع ضمن سلسلة من الايرادات المختلفة، مع أهميتها بطبيعة الحال؛ إذ تمثلت اهم مصادر التمويل بالنسبة للتنظيم الارهابي في تلك الفترة بالتالي:

١- نسبة مئوية من كافة عقود المشروعات والمقاولات التي تنفذ داخل كل (ولاية)، وذلك من خلال الاتصال المباشر بمنفذي المشروعات والمقاولين والاتفاق على نسبة معينة تتحصل من الأرباح النهائية للمشروع.

٢- واردات من محطات الغاز والتي يطلق عليها من قبل المسؤول الاداري بـ(البياضات).

٣- جزء من مكاتب النقل المختصة بنقل البضائع داخلياً وخارجياً.

٤- مصانع الدقيق ومواد البناء.

٥- الغرامات التي تفرض على بعض الاشخاص بسبب انتهاكات الشريعة الاسلامية التي لا تصل عقوبتها الى حد القتل.

٦- بعض الهبات والمنح من قبل بعض المناصرين حتى وان كانت صغيرة.

٧- بعض التحصيلات من مجالس ادارة الحكومات المحلية كالبلدية والتعليم وغيرها[١].

٨- هذا فضلا عن أهم مورد، وهو الناتج عن عمليات تهريب النفط، والذي اتخذ العديد من الاشكال منها اصطناع قنوات للأخذ من انابيب التصدير، واختطاف شاحنات صهاريج نقل النفط، وانشاء محطات للغاز والوقود لكسب حقوق تزويد الشاحنات، وأيضاً صارع التنظيم من أجل السيطرة على (مصفاة نفط بيجي)

(١) باتريك بي جونسون وأخريين، أسس تنظيم الدولة الاسلامية: الإدارة، والمال، والارهاب في العراق، من عام ٢٠٠٥ الى عام ٢٠١٠، RAND Corporation، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، ٢٠١٦. ص ١٨٦.

والذي يعد الأكبر في العراق والذي كان أهم الأصول ومصادر الطاقة المتنازع عليها بشدّة، وتشير بعض التقارير بان تنظيم داعش الارهابي في العراق قد ربح أكثر من (مليار دولار) من جراء تهريب النفط من مصفى بيجي[١].

ولكن بعد سيطرة تنظيم (داعش) الارهابي على أجزاء واسعة من دولتي سوريا والعراق عام ٢٠١٤، أصبح التنظيم أكثر استقلالية مالية من ذي قبل، وأكثر قدرة على توفير التمويل والاكتفاء الذاتي من التنظيمات الاخرى التي تعتمد على المانحين في هذا المجال، بسبب اختلاف نسبة واردات التمويل مع اختلاف مصادر التمويل ومكانتها[٢].

وحسب تقرير نشرته مجموعة العمل المالي(FATF)، فإن تنظيم (داعش) يعزز تمويله من خلال بعض المصادر التي ساعدت على تزايد قدراته المالية والتنظيمية أهمها، نهب البنوك في الاراضي التي احتلها، والابتزاز والسيطرة على حقول النفط ومصافي التكرير، وسرقة الاصول الاقتصادية وفرض الضرائب غير المشروعة على البضائع والأموال التي تمر في الأراضي المسيطر عليها، وعمليات الخطف والابتزاز والحصول على الفدية مقابل الحياة، والتهريب، هذا فضلاً عن تدفقات الأموال التي يحصل عليها التنظيم الارهابي من قبل بعض الجهات الدولية وغير الدولية التي تقدم الدعم للإرهابيين، والتي تحولت من منح صغيرة نسبياً سواء من بعض المقاولين وأصحاب المشاريع، ومحطات الغاز وغيرها، إلى مصادر أخرى متنوعة، تختلف من حيث الواردات وأهميتها. فبحسب التقرير أعلاه والذي يعمل من أجل تحليل ظاهرة الإرهاب وطرق مواجهته، فإن القيمة النظرية للأصول التي بات يسيطر عليها التنظيم الارهابي (مثل احتياطيات النفط والغاز والاحتياطيات والمعادن والأصول النقدية) تقدر بأكثر من (٢ مليار دولار أمريكي) بحلول أواخر عام ٢٠١٥ ، بزيادة قدرها ١١٪ عن عام ٢٠١٤[٣]. وقد أظهرت

(١) هاوارد چيه. شاتز و إيرين إليزابيث چونسون، الدولة الإسلامية التي عرفناها: رؤى متبصرة فيما قبل الظهور ودلالاتها، RAND Corporation، ٢٠١٦. شوهد بتاريخ ٢٠٢٤/٩/١. متاح على الرابط التالي:
https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/RR1200/RR1267/RAND_RR1267z1.arabic.pdf

(2) Measuring and understanding the impact of terrorism, Global Terrorism Index 2017, Institute For Economics & Peace, 2017, p p 82-83.

(3) The financing of the 'Islamic State'in Iraq and Syria (ISIS), Op.cit, p 9.

مجموعة من الوثائق التي رفعت عنها السرية من بعض سجلات القيادي في تنظيم داعش الارهابي (أبو سياف)، بأن التنظيم سيطر على ٢٥٣ بئراً (من بينها ١٦١ بئراً نشطاً)[١].

وقد أجمع الخبراء على أن تقديرات الطاقة الإنتاجية للتنظيم في عام ٢٠١٥ كانت ما بين (٥٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠) برميل في اليوم، ولكن في بدايات عام ٢٠١٦، فإن إنتاجها لم يتجاوز ٣٠٠٠٠ برميل في اليوم. وفيما يتعلق بالبنزين والغاز، فقد سيطر التنظيم على ٦٠٪ من إنتاج سوريا من البترول و ١٠٪ من إنتاج العراق في عام ٢٠١٤. ينظر الخريطة رقم (٢):

خريطة رقم (٢) أهم المصادر النفطية التي سيطر عليها تنظيم داعش الارهابي في سوريا والعراق.

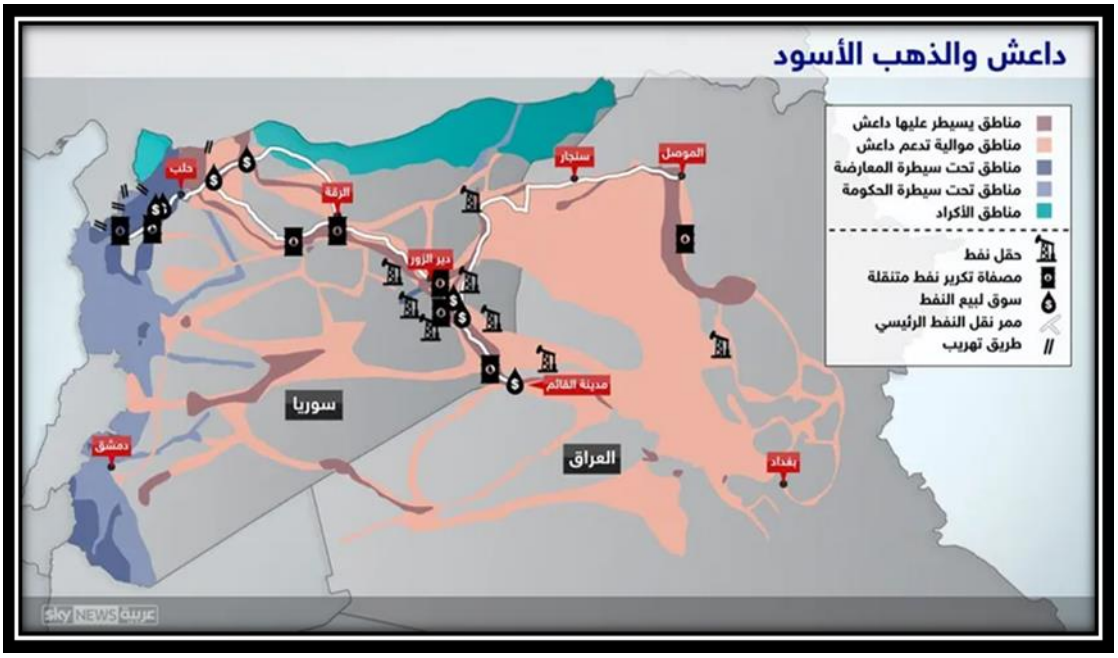

المصدر: سكاي نيوز، ذهب داعش الأسود.. الإنتاج والتسويق، ابو ظبي، ١٣ ديسمبر ٢٠١٥:

(١) عماد علو، الأهمية الجيوستراتيجة للعراق في اطار مشاريع أنابيب نقل الغاز الطبيعي، كتاب أعمال مؤتمر حوار بغداد الدولي الرابع، استراتيجية التحول الى الدولة الفاعلة، الجزء الثاني، بغداد، ٢١-آب- ٢٠٢١. ص ٧٩.

https://www.skynewsarabia.com/middle-east/798840

ومن اللافت للنظر أن (تنظيم داعش) تبنى نظام التمويل التقليدي الذي كان موجودًا بالفعل في المنطقة وقد تم توظيفه بالفعل من قبل أعدائه، أي كل أنواع التهريب، وخاصة تهريب البترول، بالأخص بعد الحديث عن تهريب النفط الى دول الجوار العراقي، وقد استخدم داعش (النفط) في المقام الأول كوقود لمختلف المركبات المدرعة المركبات والدبابات التي تشكل العمود الفقري العسكري للتنظيم الارهابي، مقابل نسبة معينة تم بيعها في الأسواق الدولية. ومع ذلك فقد انخفضت إيرادات بيع النفط الذي سيطر عليه التنظيم لعدد من الأسباب، منها تراجع سعر النفط الذي هبط بنسبة ٦٠٪ إلى ٧٠٪ منذ صيف ٢٠١٤ ، وكذلك تقادم المرافق النفطية المسيطر عليها، والصعوبات التي واجهها التنظيم في تعيين موظفين مؤهلين لصيانتها أو إصلاحها، هذا فضلاً عن الضربات الجوية التي نفذتها القوى الدولية، وبالأخص روسيا والتي عرقلت عمليات نقل وبيع النفط، وأخيراً فقد التنظيم الارهابي السيطرة على عدد من حقول النفط في كل من سوريا والعراق ، وهو ما ضاءل من قدرته على استغلال النفط وبيعه[١].

هذا فضلاً عن استفادة التنظيم من الأراضي التي سيطر عليها والتي تتميز بتركيز عالٍ للموارد الطبيعية، والتي توفر درجة عالية من التمويل الذاتي، والتي استفاد منها بشكل نسبي، بعد تشكيل كيان إداري من وزارات وإدارات مختلفة، ولكنها لم تحقق الفائدة المرجوّة منها بسبب عدم القدرة على توظيف الموارد التي سيطر عليها بالشكل الأمثل، والناتجة عن قلة الخبرة العلمية والعملية الكافية لذلك[٢].

وفي هذه النقطة هناك دلالة تؤشر على ما يمكن أن نسميه بـ(القصور الاستراتيجي) للتنظيم، بالرغم من سيطرته على مساحة جغرافية تفوق مساحة أكثر من دولة عربية وأجنبية، ولفترة زمنية ليست بالقصيرة، والتي اثبتت بأنه عبارة عن (جماعة ارهابية تخريبية) لم يكن هدفها النهائي أكثر من مجرد التخريب والإضرار بواقع الدول التي سيطرت عليها أمنياً وسياسياً

(1) The financing of the 'Islamic State'in Iraq and Syria (ISIS), Op.cit, p 10.
(2) Ibid, p 11.

واقتصادياً وحتى مجتمعياً، لكي تبقى دولا ضعيفة ومنكشفة، وترتبط بالقوى الدولية والاقليمية لحاجتها الماسّة للدعم المقدم من قبلها.

وتدل هذه الحالة على إن تنظيم داعش الارهابي عبارة عن أداة استخدمت من قبل أطراف خارجية لتحقيق هذا الهدف، من اجل فرض واقع حال معين يخدم بعض القوى الدولية والاقليمية؛ فلو كان التنظيم الارهابي يسعى لتقوية نفوذه، ووضع خطط تدعم من شرعيته الدولية، فإنه كان يستطيع توظيف عامل الطاقة والموارد الأولية للحصول على الشرعية الدولية، من خلال المحافظة على امدادات الطاقة للدول المستهلكة وتأمين وصولها بشكل أيسر، وهو ما يخدم مصلحة الطرفين، بالأخص وإن الدول المستهلكة للطاقة قد لا يهمها في وقت معين سوى الحفاظ على امدادات الطاقة، بغض النظر عن نوع وطبيعة النظام السياسي الحاكم في الدول المصدرة.

وتبعاً لذلك، فإن الحصة الكبرى في التمويل الذي كان التنظيم الارهابي يحصل عليه في سوريا والعراق كانت تأتي من (النفط)، فكما ذكرنا قد استولى التنظيم على حقول نفطية رئيسة ومصافٍ للتكرير في شمال شرق سوريا وشمال العراق، وحتى منتصف عام ٢٠١٦، أي بعد عمليات التحرير في العراق كانت داعش تسيطر على قرابة (٦٠%) من آبار النفط في سوريا، و(٥%) من آبار النفط العراقية، وتركز استثمارها في هذا القطاع حول بيع النفط لتجار في كل من البلدين، وتراوحت تقديرات واردات النفط في أواخر عام ٢٠١٦ بحوالي (٢٥٠) مليون دولار الى قرابة (٣٦٠) مليون دولار أمريكي سنوياً، وقد تراجعت هذه الايرادات أيضاً، وكان التراجع حاداً في العراق بشكل خاص؛ فبعد اتمام تحرير البلد بشكلٍ كاملٍ لم يعد التنظيم يسيطر على أي آبار نفطية في العراق إطلاقاً منذ شهر أيلول ٢٠١٦[١].

(١) كولِن ب. كلارك وآخرون، السيناريوهات المالية المستقبلية للدولة الإسلامية في العراق والشام، RAND Corporation، نتائج من ورشة عملٍ لمؤسسة (RAND)، ٢٠١٧.، ص ٩. شوهد بتاريخ ٢٠٢٤/٩/١، متاح على الرابط التالي:

https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/conf_proceedings/CF300/CF361/RAND_CF361z1.arabic.pdf

وبناءً على ما سبق، فإن تنظيم داعش الارهابي استطاع ان يحقق قدراً عالياً من الاستقلال المالي، والذي مكنه من توسيع نفوذه والصمود لفترة ليست بالقصيرة، وقد اعتمد التنظيم الارهابي على **(مصادر الطاقة)** بشكل أساس، سواء فيما يخص زيادة وارداته المالية والتي أدت بدورها إلى زيادة قوته وقدرته على التأثير وديمومة معدل توسعه والدفاع عن مكتسباته، واعداد الخطط القتالية، والحصول على نوع من الشرعية المحلية من خلال دفع الرواتب والهبات للفئات المجتمعية المؤيدة والمناصرة للتنظيم وتوفير حد مقبول من متطلبات الحياة لأنصاره، وهي مسالة مهمة ساعدت بتمديد فترة سيطرة التنظيم الارهابي في كل من سوريا والعراق هذا من ناحية، أو حتى الإضرار بواقع الدول التي سيطر عليها، ومصالحها، وإثقالها بالعديد من المشكلات الأمنية والسياسية والاقتصادية، والمجتمعية، التي تخدم مصالح بعض القوى الدولية والاقليمية، وتؤدي بدورها الى تزايد حدة الضعف وترسيخ حالة عدم الاستقرار السياسي والامني والاقتصادي، والتبعية للخارج من أجل حماية الأمن القومي للدولة بحدّه الأدنى.

المبحث الثاني: أهمية مصادر الطاقة بالنسبة لمكانة وقدرات التنظيم

تعد مصادر الطاقة وبالتحديد (النفط والغاز الطبيعي) من أهم الموارد الي لعبت وتلعب دوراً مهماً في رسم وتحديد التفاعلات الدولية، فقد كانت سبباً لبعض الحروب والصراعات الدولية من أجل الحصول عليها أو تأمين وصولها الى الدول المستهلكة، ومثلت أيضاً عاملاً للتقارب والتعاون بين بعض الدول وسبباً رئيساً لحمايتها وتأمينها من التهديدات الخارجية المختلفة، كونها دخلت ضمن استراتيجيات الدول العظمى والكبرى، وباتت ضمن متطلبات تأمين وحماية الأمن القومي لهذه القوى (العلاقات بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والقوى العظمى والكبرى نموذجا).

ودائما ما كان هناك تخوف من حدوث أي عوائق تؤدي الى قطع امدادات نفط الشرق الاوسط عن السوق العالمية؛ فحتى الولايات المتحدة التي تمتلك مصادر كبيرة للطاقة وخزين هائل، وامدادات متنوعة سواء من بحر الشمال او أفريقيا، إلا ان قطع امدادات نفط الشرق الاوسط سوف يكون له تأثيرات كبيرة على أسعار النفط العالمية وتؤدي الى ارتفاعها، الأمر الذي

ستكون له تبعات سلبية على الاقتصاد العالمي، والذي من المحتمل ان يغرق الدول الصناعية الكبرى بحالة من الركود، كما حدث في أكثر من مناسبة (١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٧٩)، والذي كلف الدول الصناعية خسائر اقتصادية فادحة لا تزال حاضرة في ذهنها[١].

وبالتالي، تعتبر استراتيجية استهداف مصادر الطاقة وبالأخص المنشآت النفطية وناقلات النفط، وخطوط الامدادات من الاستراتيجيات الراسخة لدى التنظيمات الارهابية، فقد اتبعها تنظيم القاعدة الارهابي في اكثر من مناسبة للإضرار بمصالح القوى العالمية وبعض الدول العربية المعادية له، ففي العقد الأول من القرن الواحد والعشرين تم استهداف بعض المنشآت النفطية وخطوط الامداد والعبارات، ولعل أكثرها تأثيراً كان استهداف ناقلة النفط العملاقة (ليمبورغ) التي كانت تحمل شحنة تقدر بحوالي (٤٠٠٠٠٠) ألف برميل من النفط الخام قبالة سواحل عدن، والذي تبناها آنذاك تنظيم القاعدة الارهابي، وأيضاً محاولة استهداف محطات انتاج ومعالجة النفط في (البقيق) في المملكة العربية السعودية عام ٢٠٠٦، والتي أكد أحد الضباط السابقين في وكالة الاستخبارات الامريكية بأنه في حال تم الاستمرار بالتعرض وتدمير مصادر وخطوط امدادات النفط الرئيسة في الدول المنتجة للنفط، فإنها:" ستكون أكثر ضرراً من الناحية الاقتصادية من انفجار قنبلة نووية قذرة وسط مانهاتن أو على الجانب الأخر من البيت الأبيض..."[٢]، وذلك بسبب تأثيرها الكبير على الدول المستهلكة التي سوف يلحقها ضرراً بالغاً بسبب عدم الحصول على احتياجاتها الأساسية من مصادر الطاقة، والتي تعد مهمة وأساسية لديمومة النمو والتقدم الصناعي والاقتصادي والتكنولوجي في هذه الدول.

وبدوره يمثل النفط أحد أهم مصادر الطاقة الذي أثر بشكل مباشر في العلاقات الدولية، إذ يعد المصدر الرئيس والأكثر استخداماً للطاقة في العالم حالياً، بسبب سهولة استخراجه ونقله واستهلاكه، وتزداد أهميته بشكلٍ مستمر على الأقل في المدى المنظور، بسبب مميزاته العديدة، وأيضاً بسبب عدم إمكانية التعويل على البدائل التي يتم اكتشافها واستخدامها من فترة لأخرى،

(1) LIU Xuejun & WU Lei, The Energy New World Order, Mideast Oil and US Energy Security, Journal of Middle Eastern and Islamic Studies (in Asia) Vol. 8, No. 3, 2014, p31.
(2) Bassam Fattouh, How Secure Are Middle East Oil Supplies?, Oxford Institute for Energy Studies, WPM 33, September 2007, p 12.

كونها قد تكون أكثر تكلفة، أو لا توفر المميزات التي يوفرها النفط من حيث التكاليف وتعدد الاستخدامات، وبالتالي؛ فقد أصبح النفط من أهم مسببات التنافس والصراع بين الدول، والفاعلين الدوليين من دون الدول أيضاً[١].

فبينما ركزت النظريات الجيوبوليتيكية التقليدية على ان التفوق العالمي يتحقق من خلال السيطرة على بعض مقدرات القوة القومية المتوفرة لدى الدول وأهمها الموقع الجغرافي لبعض الأقاليم المهمة، فإن النظريات الحديثة تقول:" أن من يتحكم في نفط الشرق الأوسط يتحكم باقتصاديات العالم، ومن يتحكم باقتصاد العالم يتحكم في العالم"[٢]. وتمثل هذه المقولة دلالة مهمة على دور عامل (النفط) الرئيس في استراتيجيات الصراع والتنافس الدولي في الوقت الراهن، كونها تمثل أداة وآلية الهيمنة العالمية الأهم، والتي باتت السيطرة على مرافق الانتاج وخطوط الامداد، والتحكم فيها، تمثل أهم مفاتيح المكانة والنفوذ الدولي في عالم اليوم.

ومن هنا يمكن تفسير ما حدث في كل من سوريا والعراق سواء من تدخلات خارجية أو إطلاق يد تنظيم (داعش) الارهابي وجعله سبباً للتدخل الدولي من أجل تحرير البلدين، بانه استراتيجية دولية تهدف من ورائها بعض الدول الى تحقيق بعض الأهداف التي تتعلق أما بالسيطرة على مصادر الطاقة في هذين البلدين بشكل مباشر، أو السيطرة على طرق إمدادات الطاقة التي يقع البلدان في القلب منها، وبالتالي التأثير على بعض الدول المنافسة وإضعافها، من خلال عرقلة تنفيذ بعض الاتفاقيات والمشاريع المتعلقة بالطاقة ونقلها في هذه الرقعة الجغرافية المهمة.

وبالتالي فإن الباحث يرى بأن منطقة الدراسة تمثل هدفاً استراتيجياً مهما للعديد من الدول والجماعات التي تسعى الى تحقيق مصالحها من خلال السيطرة عليها، والإضرار بمصالح الأطراف والقوى المنافسة الأخرى. وهذا التضارب في المصالح بين الدول المتنافسة في منقطة الدراسة، جعل من وجود التنظيمات الارهابية والجماعات المسلحة المختلفة، بمثابة أداة مهمة

(١) اركان ابراهيم عدوان، مكانة العراق الاقليمية في ظل التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة تكريت، عدد خاص بالمؤتمر الثالث لكلية العلوم السياسية، أيار ٢٠١٩، ص ٤٩١.

(٢) حسبن حافظ وهيب،" الولايات المتحدة وإستراتيجية احتواء العراق"، دراسات دولية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد ٥٢، بغداد، ٢٠١٢، ص ٣٠.

ورئيسة من ادوات وآليات تحقيق الأهداف الدولية المختلفة؛ وهو ما يفسر **(غض النظر)** أو **(اطلاق يد)** الجماعات الارهابية المختلفة وبشكل مفاجئ وسريع، وساعد على تقويتها ودعّمها في كثير من الأحيان عبر الانسحابات المنظمة أمام تقدمها، وتسليم واستلام بعض المناطق، فضلاً عن تأخير إطلاق عمليات التحرير، وربطها بشروط وتنازلات معينة من قبل الاطراف الدولية المنضوية تحت التحالفات الدولية التي حاربت التنظيم الارهابي.

وفيما يخص النفط العراقي، فإنه بالرغم من الحديث عن امتلاك العراق حوالي ١١% من مخزون النفط العالمي[١]، إلا أن هناك العديد من الدراسات التي تتحدث على أن حجم الاحتياطي قد يكون أكثر من ذلك بكثير، إذ توقفت عمليات التنقيب عن البترول في العراق منذ عام ١٩٨٠، فضلاً عن أن ٥٠% من الحقول النفطية العراقية لم يتم تقويمها لحد الآن، وبالأخص في المنطقة الغربية، والتي يعتقد أنها "تحتوي على ما يقارب ١٠٠ مليار برميل من الاحتياطي النفطي غير المستثمر"[٢]. ومن هنا تأتي أهمية العراق والسيطرة عليه وجعله ساحة للتنافس والصراع الدولي والإقليمي، إذ يقع العراق في **(قلب النظريات الجيوبوليتيكية التقليدية والحديثة)**، كونه يمتلك الموقع والموارد، وإن السيطرة على العراق أو ابقائه ضعيفاً تعد هدفاً وغايةً رئيسة للعديد من القوى الدولية وغير الدولية من اجل الاستفادة من الموقع والموارد.

أما بالنسبة للغاز الطبيعي، فقد أصبح في الوقت الحالي من أهم مصادر الطاقة النظيفة المطلوبة لأغلب دول العالم، وزادت اهميته بسبب دخوله في تشغيل العديد من المرافق الصناعية والانتاجية المهمة، وبالتالي يتضاعف الطلب العالمي على الغاز الطبيعي كل عشر سنوات تقريباً، وبالتالي، باتت القوى الدولية والاقليمية تسعى الى السيطرة على مسارات نقل وتصدير الغاز الطبيعي الى الاسواق العالمية عبر الأنابيب الضخمة ومنطقة الشرق الأوسط، ومن هنا تأتي أهمية السيطرة على طرق النقل الرئيسة ومناطق الانتاج او المناطق المرشحة لأن تكون من كبيرات مصادر الغاز الطبيعي في العالم مثل صحراء الانبار. وبالتالي، تصاعد

(١) ياسين سويد،" لماذا العراق: إستراتيجية الاحتلال الأمريكي"، في: "الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة: لماذا احتلال العراق؟"، المتابع الإستراتيجي، القسم الثاني، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية، كانون الثاني ٢٠٠٤، ص ١٠.
(٢) جعفر بهلول جابر، " الأبعاد السياسية والاقتصادية لاحتلال العراق أثره على الجوار الإقليمي"، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٣، ص ٤٢.

الصراع والتنافس الدولي من اجل السيطرة والتحكم بمسارات تصدير الغاز الطبيعي، وأصبح من الآليات المتبعة في التفاعلات الدولية الحالية. وتدخل منطقة الدراسة في أهم المشاريع العالمية لنقل الغاز الطبيعي، إذ تقع ضمن المنطقة المقترحة والمتفق عليها للمشاريع الأتية[١]:

١- خط انابيب قطر تركيا: وهو خط مقترح لنقل الغاز الطبيعي من قطر الى تركيا ومن الممكن ربطه مستقبلاً مع خط (نابوكو) لتزويد تركيا واوربا بالغاز الطبيعي.

٢- مشروع خط الغاز الإيراني العراقي السوري (إيجات-٦): ويسمى أيضاً بـ(خطوط الصداقة) أو (خط الغاز الاسلامي)، وهو خط لنقل الغاز الايراني من ميناء (عسلوية) الذي يطل على حقل غاز الشمال، الذي يعد الأكبر في العالم، وهو حقل مشترك بين كل من ايران ودولة قطر في مياه الخليج العربي، ومن المفترض ان يمر خط الانابيب من العراق وصولاً الى سوريا، وعبر تركيا الى اوربا، وقد تم توقيع اتفاقية بين الدول الثلاث في عام ٢٠١١، في مدينة بوشهر الايرانية، وكان من المفترض ان يتم ضخ الغاز فيه ما بين عامي (٢٠١٤-٢٠١٦) بمعدل (١١٠) مليون متر مكعب يومياً، وكان من المفترض ان يحصل كل من العراق وسوريا على كافة احتياجاتهم من الغاز، وأيضاً يتم تزويد كل من لبنان والأردن.

٣- هذا فضلاً عن أهم المشاريع المستقبلية المقترحة لتصدير الغاز العراقي، والذي يمتلك مخزوناً كبيراً من الغاز الطبيعي، إذ تتوفر احتياطات كبيرة في الحقول الغازية التي تؤمن طاقات انتاجية مستديمة بدون الاعتماد على انتاج النفط الخام، فضلاً عن حاجة كل من تركيا ودول الخليج للعراق كفاعل اساسي في مشاريع نقل الغاز، أما لاستهلاك الغاز الطبيعي فيما يخص تركيا، أو لنقل المنتج الفائض عبر الاراضي العراقية ومنه الى تركيا واوربا وذلك بالنسبة لدول الخليج العربية التي تنتج كميات كبيرة من الغاز الطبيعي.

(١) عماد علو، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٩ – ٧٣.

وتبعاً لما تقدم، فإن كل من سوريا والعراق تقعان ضمن مناطق أهم المشاريع الاستراتيجية العالمية فيما يخص انتاج ونقل امدادات الطاقة (النفط، الغاز الطبيعي)، ولذلك فإن السيطرة على هذين البلدين، أو حتى ارباك الأوضاع السياسية والامنية والاقتصادية في كل منهما، لا يمكن أن تعد إطلاقاً كونها (عملاً عبثياً) أو من قبيل (الصدفة)، إنما يمثل استراتيجية ومصلحة عليا للعديد من القوى العالمية والاقليمية التي تهدف الى السيطرة على أسعار وامدادات مصادر الطاقة عالمياً. ومن هنا يمكن تفسير سعي تنظيم داعش الارهابي الى السيطرة على مصادر الطاقة، والتعرض لخطوط نقلها مرات عدة؛ إذ أدى الى زيادة واردات التنظيم المالية بشكل كبير كما ذكرنا في النقطة السابقة، الأمر الذي جعله مختلفاً عن التنظيمات الارهابية الاخرى، من حيث الاستقلالية المالية، والقدرة العالية على التخطيط والصمود بوجه الضغوطات والتضييق الذي تعرض له، سواء من قبل الدول التي احتل اجزاء واسعة منها، وأيضاً من قبل الدول الحليفة لها والتي ساندتها، وبالتالي أصبح تنظيم داعش الارهابي في حينها ككيان أشبه بالدولة ولا ينقصه سوى الاعتراف الدولي، ومن جهة اخرى الحق ضرراً كبيراً باقتصاديات الدول التي نشط على اراضيها، كونها دول ريعية وتعتمد على ورادات تصدير مصادر الطاقة بشكل رئيس لسد متطلباتها. ولذلك فإن الطاقة أصبحت جزءاً رئيساً في التخطيط الاستراتيجي للتنظيم الارهابي؛ كونها ادت الى تنامي قدراته المادية والمعنوية بشكل غير مألوف بالنسبة للتنظيمات الارهابية، إذ باتت لديه القدرة على حشد الانصار والترويج والاعلان لمبادئه بشكل اكثر تنظيماً وتأثيراً، مستغلاً القدرات المالية الهائلة التي سيطر عليها، والتي لعبت مصادر الطاقة دوراً كبيراً في تنميتها[١].

ومن خلال تحليل ودراسة شكل وطبيعة التفاعلات الدولية الراهنة، والتي تتميز بالطابع الصراعي والتنافسي، يمكن القول بأن مسألة السيطرة على مصادر الطاقة وخطوط نقلها من قبل التنظيم الارهابي ليست مسألة عفوية، إنما يمكن ان تكون السبب الرئيس وراء اطلاق يد التنظيم الارهابي وتمكينه من السيطرة على الرقعة الجغرافية الكبيرة التي أعلن عن قيام دولته فيها لفترة ليست بالقصيرة.

(١) كولن ب. كلارك وآخرون، مصدر سبق ذكره.، ص ٩.

فقد أدت سيطرة تنظيم داعش الارهابي على الأجزاء المهمة من سوريا والعراق الى عرقلة المشروع الايراني العراقي السوري لنقل الغاز الايراني عبر البلدين الى أوربا، كما تم استهداف أنابيب نقل الغاز من ايران الى تركيا في عمليات تفجير، وأيضاً تم التعرض لخط انابيب (شاه دنيز) الذي ينقل الغاز الطبيعي من أذربيجان الى تركيا عام ٢٠١٥، هذا فضلاً عن عمليات استهداف المنشآت النفطية الليبية في نفس الفترة تقريباً، ويمكن تفسير سلوك التنظيمات الارهابية في ميدان الطاقة سواء من خلال السيطرة على مصادرها، أو عمليات الاستهداف المتكررة لخطوط النقل، بأنه يحقق هدفين رئيسين للجماعات الارهابية: "يتمثل أولهما في الإضرار بالخصم وتكبيده خسائر اقتصادية كبيرة، ويتصل ثانيهما بممارسة ضغوط من أجل تحقيق نتائج بعينها أو تغيير المواقف المعارضة لمصالحها ونفوذها... ومن شأن مجمل الحوادث الإرهابية التي تطال القطاعات الاقتصادية السابقة أن تؤدي إلى تراكم الخسائر الاقتصادية التي تتكبدها دول الإقليم منذ عام ٢٠١١"[١].

وعند الاطلاع على الجدول رقم (١) الذي يبين معدل استهداف المنشآت الاقتصادية ومعدلات التكرار، والأثار المحلية والخارجية المترتبة على العمليات الارهابية، نجد أن القطاع النفطي حاز على اعلى مرتبة من حيث الهجمات الارهابية التي تعرضت لها مختلف القطاعات الاقتصادية في الدول التي نشطت فيها الجماعات الارهابية منذ عام ٢٠١١، إذ تشير تطورات الصراع في الإقليم في الفترة المذكورة، إلى أن قطاعي النفط والسياحة هما أكثر القطاعات التي تعرضت لهجمات إرهابية، وحاز النفط على المرتبة الأولى من حيث معدل الاستهداف والتركيز والتكرار، ويعود ذلك الى أهمية القطاع النفطي والذي يمثل المورد الرئيس وأحياناً الوحيد بالنسبة لاقتصاديات الدول التي تشهد الصراعات، وبالتالي فإنه يمثل حافزاً لتلك التنظيمات لتبني هذه الآلية كاستراتيجية رئيسة في سلوكها، اما للسيطرة على الموارد النفطية وزيادة قوتها وقدرتها على التأثير والصمود، أو لإلحاق الضرر الأكبر بالدول المستهدفة من اجل رفع مستوى الخسائر التي لحقت بها، وفي كلتا الحالتين فإن الأمر يصب في مصلحة التنظيمات الارهابية،

(١) تبعات استهداف التنظيمات الإرهابية للمنشآت الاقتصادية بالمنطقة، موجز سياسات POLICY BRIEF، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، العدد ١١٧ ، نوفمبر ٢٠١٦.

ويحقق مصالح الاطراف الدولية صاحبة المصلحة في إضعاف الدول العربية الغنية بالموارد والمهمة جغرافياً وجيوبوليتكياً[١].

جدول رقم (١) مصفوفة العمليات الإرهابية الموجهة ضد المنشآت الاقتصادية بالمنطقة

القطاع	معدل التكرارية	التنظيمات المتورطة	تكتيكات الهجمات الإرهابية	القابلية للاحتواء (سياسات المواجهة)	مستوى التجاوب الدولي/ الإقليمي	تبعات التأثير (المدى الطويل)
النفط	عالي	داعش - حزب العمال الكردستاني	ألغام أرضية- متفجرات- إطلاق نار	عالي	محدود	عالي التأثير
المالي	منخفض	الحوثيون - حزب الله	سيارات ملغومة - قصف بالطيران	متوسط	محدود	متوسط التأثير
السياحة	عالي	داعش	متفجرات	منخفض	محدود	واسع التأثير
النقل (البري والبحري)	متوسط	قراصنة صوماليون - قراصنة يمنيون - الحوثيون	متفجرات - قذائف صاروخية	عالي	عالي	متوسط التأثير

المصدر: مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، العدد ١١٧ ، نوفمبر ٢٠١٦.

المبحث الثالث: أثار وتداعيات استهداف مصادر وخطوط أمدادات الطاقة

عند دراسة سلوك الجماعات الارهابية تجاه مصادر الطاقة يمكن أن ننطلق من فرضيتين اثنتين، تتعلق كل منهما بالأخرى، ولا يمكن ان تنفصل عنها؛ إذ يمثل استهداف مصادر الطاقة وطرق إيصالها الى الدول المستهلكة، عملاً ذا تأثير بالغ الأهمية في إضعاف الخصوم، وعند دراسة التفاعل بين الجماعات الارهابية والمجتمع الدولي، فإننا نجده عبارة عن (لعبة صفرية)، فما يخسره طرف يمثل بالضرورة مكسباً للطرف الآخر حتى وإن كان مكسباً معنوياً وليس مادياً.

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

وأيضاً ممكن أن تؤدي سيطرة الجماعات الارهابية بشكل محكم على طرق الامداد ومصادر الطاقة المهمة في المنطقة الى تزايد قدرة هذه الجماعات وتأثيرها، ومن ثم فرض نفسها كلاعب رئيس في التفاعلات الدولية الراهنة. ومن هنا فقد ركز تنظيم داعش الارهابي كما ذكرنا سابقاً على استثمار مصادر الطاقة في المناطق التي سيطر عليها، وحاول التحكم بخطوط نقلها باعتبارها من الآليات التي اعتمد عليها لترسيخ نفوذه وسيطرته في هذه المناطق. وعند الحديث عن تداعيات سيطرة تنظيم داعش على بعض مصادر الطاقة في الدول التي سيطر عليها، يجب تفكيك التداعيات بالنسبة لكل من الدول التي توسع على اراضيها، والدول المحيطة، والدول المستهلكة للطاقة، فضلاً عن التداعيات التي لحقت بالتنظيم الارهابي نفسه.

١_ التداعيات على العراق وسوريا:

لقد أدت سيطرة تنظيم داعش الارهابي على اجزاء واسعة من البلدين وعمليات التحرير التي تمت، الى خلق واقع حال جديد في كل منهما؛ فبالنسبة لسوريا فقد خلق تواجد الارهاب على ارضه وبالأخص في المناطق التي تحتوي على مصادر للطاقة، واقع حال جديد أثر في تفاعلات القوى الدولية والاقليمية المهتمة بالأزمة السورية، فقد رسخت الولايات المتحدة نفوذها في المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية التي تحتوي على مصادر الطاقة الرئيسة في البلاد، ووثقت تحالفها مع حزب الاتحاد الديموقراطي الذي قام بعقد صفقة لاستغلال النفط مع شركة دلتا كريست انرجي (Delta Crescent Energy) الامريكية، والتي تعتبر خطوة تعبر عن تنمية العلاقات الامريكية مع الجهة المسيطرة على الارض، وتمثل بدورها خطوة وقائية لأي عمليات عسكرية من قبل قوات النظام السوري لاستعادتها. وتوضح الهدف الرئيس للدور الامريكي في سوريا والذي جاء تحت عنوان محاربة الارهاب، والذي يتمثل بالحفاظ والسيطرة على المناطق ذات الاحتياطات المائية والنفطية المهمة والمتاخمة للحدود العراقية من خلال

الحلفاء المحليين، والذين تسعى الى ان يكون لهم دور رئيس في مستقبل سوريا، وجعلهم بمثابة أداة ردع تجاه ايران وغيرها من الأطراف المتدخلة في سوريا[١].

وبالنسبة لروسيا فإنها مصرّة على دعم النظام السياسي الحاكم في سوريا، باعتباره حليفاً رئيساً في منطقة نفوذها الوحيدة في المنطقة، والتي تمثل كما أشرنا الممر الرئيس المرشح لإمدادات الطاقة من مناطق الانتاج في الخليج الى أوربا، وبالتالي ركزت على دعمه وساهمت في تمكنيه من استعادة السيطرة على أغلب أراضي الدولة السورية، وتحريرها من الجماعات التي سيطرت عليها. اما فيما يخص العراق، فقد عانت الدولة من تزايد الاعباء المادية نتيجة الحرب على الارهاب، فقد وصلت خسائر الدول في القطاعات الحكومية ومنها قطاع النفط والموارد المعدنية الاخرى الى حوالي (٥٥٤٦١) ترليون دينار عراقي عام ٢٠١٤، اي بما يساوي (٤٦,٩ مليار دولار أمريكي) باستثناء الخسائر التي لحقت بممتلكات القطاع الخاص[٢]. هذا فضلاً عن خلق واقع حال جديد فرض نفسه على جميع مفاصل الدولة العراقية، من النظام السياسي الى المجتمع، إذ تعاني الدولة من مشكلة مهمة تؤثر في الأداء الحكومي وفي مكانة الدولة داخلياً وبطبيعة الحال في محيطها الخارجي، نتيجة أزمة السلطة في العراق أو ما يعرف بـ(السلطات البديلة)، والتي برزت بشكل واضح بعد عمليات تحرير العراق من الإرهاب وغيره، وتتشكل هذه السلطات بشكل أساس من جماعات فاعلة من دون الدولة وتنشط وتتنافس مع الدولة من أجل الحصول على السلطة والموارد[٣]. هذا فضلاً عن تنامي حدة ظاهرة التدخلات الدولية الخارجية في الشؤون الداخلية العراقية، وعدم قدرة السلطات العراقية الحاكمة، على تصحيح شكل

(١) Ercan Çitlioğlu, A Turkish Perspective on Syria, KONRAD ADENAUER STIFTUNG, p1. Viewed in 1/9/2024. On: https://translate.google.iq/?hl=ar&tab=wT&sl=ar&tl=en&text=%D8%B4%D9%88%D9%87%D8%AF%20%20&op=translate

(٢) انظر: التقرير الطوعي الأول حول اهداف التنمية المستدامة ٢٠١٩، شوهد بتاريخ ٢٠٢١/٩/١٠. متاح على الرابط التالي: https://sustainabledevelopment.un.org/content/documents/23321IraqVNR2019Final11June2019WOC.pdf

(٣) رانج علاء الدين، "الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق"، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة، رقم ٢٤، أكتوبر ٢٠١٨، ص ١٦.

التفاعلات العراقية الدولية بشكل متوازن يحقق مصلحة الدولة العراقية بالدرجة الأساس، لا مصالح الدول الأخرى.

٢_ التداعيات المترتبة على تنظيم داعش الارهابي:

نظراً للأهمية الكبيرة التي تتمتع بها مصادر الطاقة والخطوط التي تصل من خلالها الى المستهلكين، فإن مسألة ترك هكذا سلعة مهمة تحت تصرف فاعليين دوليين من غير الدول القومية، ولا تؤمن بمبادئ القانون الدولي، ولا تنتهج السلوك الدولي المتبع في التفاعلات الدولية المتعارف عليها، تعد أمراً ملحّاً يجب ان تتصدى له جميع الأطراف الدولية، كون تداعياته يمكن ان تشمل الجميع بدون استثناء. فعند تحديد أهم المسائل التي تعد ضمن تحديات أمن الطاقة العالمي، تأتي (الاعمال الارهابية) ضمن القائمة التي تم وضعها من قبل العديد من الباحثين، الى جانب الاعطال الفنية، الظواهر البيئية، وتغيير النظام السياسي في أحد البلدان المصدرة للنفط...الخ، وتكمن أهمية هذا التحدي بأن تأثيره لا يكون عرضياً أو عابراً كالأعطال الفنية أو تأثير الظواهر البيئية، إنما يمتد تأثيرها لفترات أطول، وأحياناً بدرجات أكثر من حيث الحدة، وبالتالي، فقد هيمنت التهديدات ذات الدوافع السياسية والأمنية لإمدادات الطاقة العالمية على النقاشات المتعلقة بموضوع (أمن الطاقة) العالمي من قبل واضعي السياسات في الدول المستهلكة، والتي يحتل (الشرق الأوسط) المكانة البارزة فيها، بسبب الاعتماد الكبير على واردات الطاقة من هذه المنطقة وكثرة التحديات الأمنية والسياسية فيها[١].

وتبعاً لذلك، فعلى الرغم من ان مصادر الطاقة كانت من أهم العوامل التي استفاد منها تنظيم داعش الارهابي لتقوية نفوذه وقدرته على التأثير في الاقليم، إلا أنها حسب رأي الباحث كانت بالمقابل من العوامل الرئيسة التي ادت إلى التسريع بإنهائه وتدميره أيضاً؛ كون المجتمع الدولي لا يمكن أن يسمح لأي فاعل دولي سواء كان دولة أم جماعة من غير الدول، بان يهدد مصادر الطاقة وطرق الامدادات مهما كانت التكلفة؛ بمعنى أن الاستحواذ على رقعة جغرافية مهمة من حيث كونها طريقاً رئيساً لنقل مصادر الطاقة وغيرها، فضلاً عن كونها تحتوي على خزيناً كبيراً

(١) Bassam Fattouh, Op.cit, p7.

من هذه المصادر، فإنه عملا لا يمكن أن يمضي بسهولة، إنما الحفاظ على أمن الطاقة ومصالح الدول المنتجة والمستهلكة على حدٍ سواء، تستوجب تحشيد كافة مقدرات المجتمع الدولي لإنهاء الخطر الذي تتعرض له هذه المناطق المهمة من العالم. كون مسألة تهديد أمن الطاقة والذي يعني: "الحصول على امدادات من النفط بشكل كافٍ ومستقر وبسعر معقول ومن مصادر متنوعة"[١]، تعد مسألة مهمة وتدخل في حماية الأمن القومي بالنسبة للدول المستهلكة والمنتجة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية، لأنها تؤثر في أسعار النفط العالمية والتي تؤثر بدورها بشكل مباشر في الأسواق العالمية.

وبالمقابل، فإنه كما ذكرنا سابقاً هناك احتمالية بان تكون بعض القوى الدولية أو الاقليمية قد سهلّت عملية اطلاق يد الجماعات الارهابية ونفوذها في هذه المناطق من اجل اضعاف الدول المنافسة، وخلق حالة من الفوضى التي تربك أي ترتيبات اقليمية لا تلبي مصالحها، وتبقي دول المنطقة بحاجة الى خدماتها من أجل المساعدة في عمليات (محاربة الارهاب) وغيرها، إلا أنها بالتأكيد لا يمكن أن تترك الأمور لتصل الى درجة لا يمكن السكوت عنها، كون تداعياتها ستشمل الجميع، ومن هنا جاء استهداف منابع تمويل الجماعة الارهابية من خلال الهجمات الجوية لقوات التحالف الدولي وأدت الى تقليص ايراداته النفطية[٢].

إذ تعد الطاقة بمختلف مصادرها من اهم المرتكزات الاستراتيجية في التفاعلات الدولية المعاصرة، فهي من اهم السلع الدولية التي تفوق أي سلعة اخرى من حيث قيمتها الاقتصادية، وتمثل مصدراً من أهم مصادر القوة بالنسبة لاقتصاديات الدول والمجتمعات الصناعية[٣]، وتبعاً لذلك تتضح مكانة وأهمية الطاقة وحرص الدول على تأمينها، وتحييدها عن أية تهديدات ممكن أن تؤثر في استمرارية تدفقها، فعلى سبيل المثال ركزت الاستراتيجية الامريكية المتبعة بعد الحرب الباردة على السيطرة على موارد الطاقة لوقف التحركات الروسية باتجاه المناطق المهمة التي تحتويها، ولذلك تعد الولايات المتحدة بأن أي تهديد لمصادر الطاقة هو بمثابة تهديد لأمنها

(١) LIU Xuejun & WU Lei, Op.cit, p 39.
(٢) سيث ج. جونز وأخرون، مصدر سبق ذكره ص ٦٦.
(٣) بافل باييف، القوة العسكرية وسياسة الطاقة: بوتين والبحث عن العظمة الروسية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ط١، ٢٠١٠، ص ٢١٩.

ويجب مواجهته؛ اذ يمثل النفط في الاستراتيجية الامريكية من أهم المحركات للقوة العسكرية ويدعم الميزانية القومية ويسير السياسات الدولية، وبالتالي فهو لم يعد سلعة تباع وتشترى بالنسبة لها، انما تحول الى عامل مهم في قضايا الأمن القومي والقوة العالمية[١]. ويمثل كل من العراق وسوريا مركزان مهمان من مراكز انتاج ونقل مصادر الطاقة العالمية، ومن هنا تأتي أهمية كل من الدولتين؛ فمن خلال السيطرة على الأولى تعد خطوة للسيطرة على القوس النفطي الذي يمتد طرفه الشمالي بدءاً من أسيا الوسطى وبحر قزوين ليكتمل في طرفه الجنوبي في منطقة الخليج العربي، أما سوريا فتأتي اهميتها كونها أصبحت الممر الرئيس لأنابيب نقل النفط والغاز الطبيعي من مناطق انتاجه في العراق ودول الخليج الى دول أوربا[٢].

وتبعاً لذلك، فإن استمرار سيطرة تنظيم (داعش) الارهابي على اجزاء واسعة من هذه الرقعة الجغرافية المهمة أمراً مستحيلاً وغير مقبول إطلاقاً، وهو ما بدى واضحاً من الحملات الدولية بمختلف مسمياتها لمحاربة الارهاب، والتي نجحت الى حد كبير في تقويض قوة التنظيم، واسترجاع المناطق التي سيطر عليها.

الخاتمة: تعد موارد الطاقة من أهم العوامل التي أثرت وتؤثر في العلاقات الدولية، فقد مثلت عاملاً للتقارب بين الدول، وتنمية علاقاتها بشكل تام، وبالمقابل مثلت أحدى أهم عوامل الصراع الدولي من اجل السيطرة عليها، أو تدعيم بعض النظم السياسية في الدول المنتجة للطاقة، وحمايتها. وبالتالي، تعد موارد الطاقة من اهم العوامل تأثيراً في سلوك الدول وتفاعلاتها الخارجية، وتحديد نمطها العام، بسبب أهميتها في الصناعات وعمليات التنمية الاقتصادية والتحديث.

وتزداد أهمية موارد الطاقة من خلال إدراك أهميتها بالنسبة لكل من الدول المنتجة والمستهلكة على حد سواء، فبدون الحصول عليها فإن حركة الانتاج والتنمية الاقتصادية في الدول المتقدمة

(١) مالك محسن العيساوي، الحروب بالوكالة: إدارة الأزمة الدولية في الاستراتيجية الأمريكية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط١ ٢٠١٤، ص ١٨٧.

(٢) قاسم محمد عبد و مرتضى نعيم كاظم، التنافس الدولي على مسارات نقل الطاقة في الشرق الأوسط بعد عام ٢٠١١، قضايا سياسية، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، العدد ٥٩، ديسمبر/ كانون الاول ٢٠١٩، ص ٧.

ممكن ان تتعطل إلى حدٍ كبير، وأيضاً بدون القدرة على إيصالها الى الدول المستهلكة فإن الضرر الأكبر سيلحق بالدول المنتجة أو المصدرة، كونها تعتمد على واردات النفط بشكل تام، من اجل سد حاجاتها الذاتية وتلبية المتطلبات الاساسية للدولة.

ومن هنا فقد مثلت مصادر الطاقة والسيطرة عليها وعلى طرق نقلها، من أهم الآليات التي استفاد منها تنظيم (داعش) الارهابي في عملياته الارهابية ضد الدول التي نشط فيها واستولى على مساحات واسعة من أراضيها، من أجل زيادة قدراته المالية، والتنظيمية، مقابل إضعاف الدول التي نشط فيها، الأمر الذي انعكس بشكل مباشر على قدرات التنظيم الارهابي، ومكّنه من الاستمرار في فرض سيطرته على المساحة الجغرافية الواسعة التي سيطر عليها في كل من سوريا والعراق، واللتان لحقت بهما خسائر مادية ومعنوية هائلة، نتيجة استنزاف موارد مادية كبيرة في عمليات التحرير، وحرمانهما من جزءا كبيرا من موارد تصدير مصادر الطاقة الرئيسة والتي تمثل شريان الحياة الرئيس بالنسبة لكل من الدولتين.

ولكن بالمقابل، يمكن اعتبار الطاقة والموقع الجغرافي المهم، من أهم العوامل التي أدت الى انهيار التنظيم الارهابي، كون المناطق التي سيطر عليها تعد من اهم المناطق الجيوستراتيجية المهمة في مشاريع انتاج ونقل موارد الطاقة من الدول المنتجة الى الاسواق العالمية. ولذلك كانت السبب الرئيس وراء إنهاء سيطرة التنظيم الارهابي على المساحات التي توسع فيها، ودعم كل من الدولتين من أجل تحرير اراضيهما، إذ تعد مسألة حماية مصادر الطاقة وتأمين وصولها الى الدول المستهلكة من آليات العمل الراسخة في التفاعلات الدولية المعاصرة.

وتبعا لذلك، نرى بأن على الدول التي تعرضت لعمليات ونشاط الجماعات الارهابية وتأثرت امنيا واجتماعيا واقتصاديا، أن تعمل بشكل جاد من أجل جعل موارد الطاقة مصدرا للتعاون والتقارب في تفاعلاتها الدولية، لا مصدرا للضعف والصراع والتنافس، وذلك من خلال بعض الخطوات لعل من أهمها:

١_ تعمل الدول الغنية بمصادر الطاقة والدول التي تمثل خطوط نقل مثالية لهذه المصادر ضمن منطقة الدراسة، على تأسيس مشاريع تعاون دولية–اقليمية في مجال استثمار مصادر الطاقة، وخطوط النقل العالمية من أجل استثمار مصادر الطاقة على الوجه الأمثل.

٢_ جعل مصادر الطاقة عاملا للتقارب والتعاون لا عاملا للصراع والتنافس بين الدول، من اجل عدم السماح للجماعات الارهابية بمختلف انتماءاتها الاستفادة من حالة التنافس والصراع في بعض الملفات والقضايا، وبالتالي والنمو والتمدد على حساب الدول.

٣_ مكافحة الارهاب من جذوره ومصادره، من خلال عمليات التنمية الاقتصادية الحقيقية في المناطق الغنية والتي شهدت نموا وانتشارا لنشاط الجماعات الارهابية في فترات مختلفة. وذلك عن طريق تأسيس مشارع استثمارية انتاجية حقيقية في الدول الغنية بمصادر الطاقة وعلى رأسها العراق، من أجل الاستفادة القصوى من هذه المصادر، وليس فقط الاعتماد على تصديرها بشكلها الخام، لما في ذلك من مكاسب متنوعة تصب في مختلف القطاعات، الاقتصادية والامنية والمجتمعية وغيرها؛ إذ يؤدي انشاء مراكز انتاج واستثمار مصادر الطاقة في الاقاليم الجغرافية التي تحتويها، والتي تمتاز بكونها في أغلبها مناطق ذات طبيعة صحراوية ونائية وبعيدة عن المراكز الحضرية، الى عدم ترك هذه المناطق كـ(بؤر) صالحة لتنامي الجماعات الخارجة عن القانون والتي تهدد أمن الدولة، وتساعد على توفير بيئة خصبة لشتى انواع النشاطات غير القانونية، وأيضا توفر عملية الاستثمار الأمثل فرص عمل كثيرة ومتنوعة تعمل على معالجة حالة البطالة والضائقة الاقتصادية التي تعاني منها قطاعات عديدة من شعوب هذه الدول، والتي تعد مصدرا رئيسا من مصادر نمو وانتشار ظاهرة الارهاب، وتوفر بالتالي بيئة خصبة لجميع النشاطات الارهابية.

قائمة المصادر:

اولا: الكتب:

١- باتريك بي جونسون وأخريين، أسس تنظيم الدولة الاسلامية: الإدارة، والمال، والارهاب في العراق، من عام ٢٠٠٥ الى عام ٢٠١٠، RAND Corporation، سانتا مونيكا، كاليفورنيا، ٢٠١٦.

٢- بافل باييف، القوة العسكرية وسياسة الطاقة: بوتين والبحث عن العظمة الروسية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ط١، ٢٠١٠.

٣- سيث ج. جونز وأخرون، دحر تنظيم الدولة الاسلامية، منشورات مؤسسة راند RAND، سانتا مونيكا- كاليفورنيا، ٢٠١٧.

٤- مالك محسن العيساوي، الحروب بالوكالة: إدارة الأزمة الدولية في الاستراتيجية الأمريكية، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط١ ٢٠١٤.

٥- مجموعة باحثين، ما بعد دولة الخلافة: الايديولوجيا، الدعاية، التنظيم والجهاد العالمي، تقديم: محمد أبو رمان، مؤسسة فريدريش ايبرت، عمان / الاردن، ٢٠٢١.

ثانيا: الرسائل العلمية:

١- جعفر بهلول جابر، " الأبعاد السياسية والاقتصادية لاحتلال العراق أثره على الجوار الإقليمي"، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٣.

ثالثا: الدوريات:

٢- اركان ابراهيم عدوان، مكانة العراق الاقليمية في ظل التنافس الدولي في منطقة الشرق الأوسط، مجلة تكريت للعلوم السياسية، عدد خاص بالمؤتمر الثالث لكلية العلوم السياسية، أيار ٢٠١٩.

٣- تبعات استهداف التنظيمات الإرهابية للمنشآت الاقتصادية بالمنطقة، موجز سياسات POLICY BRIEF، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، أبوظبي، العدد ١١٧ ، نوفمبر ٢٠١٦.

٤- حسبن حافظ وهيب،" الولايات المتحدة وإستراتيجية احتواء العراق"، دراسات دولية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، بغداد، العدد ٥٢، ٢٠١٢.

٥- رانج علاء الدين، "الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق"، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة، رقم ٢٤، أكتوبر ٢٠١٨.

٦- عماد علو، الأهمية الجيوستراتيجة للعراق في اطار مشاريع أنابيب نقل الغاز الطبيعي، أعمال مؤتمر حوار بغداد الدولي الرابع، استراتيجية التحول الى الدولة الفاعلة، الجزء الثاني، بغداد، ٢١-آب- ٢٠٢١.

٧- قاسم محمد عبد و مرتضى نعيم كاظم، التنافس الدولي على مسارات نقل الطاقة في الشرق الأوسط بعد عام ٢٠١١، قضايا سياسية، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، العدد ٥٩، ديسمبر/ كانون الاول ٢٠١٩.

٨- ياسين سويد،" لماذا العراق: إستراتيجية الاحتلال الأمريكي"، في: "الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة: لماذا احتلال العراق؟"، المتابع الإستراتيجي، القسم الثاني، مركز الكاشف للدراسات الإستراتيجية، كانون الثاني ٢٠٠٤.

ثالثا: المواقع الالكترونية:

١- التقرير الطوعي الأول حول اهداف التنمية المستدامة ٢٠١٩، العراق. متاح على الرابط التالي:

https://sustainabledevelopment.un.org/content/documents/23321IraqVNR2019Final11June2019WOC.pdf

٢- سكاي نيوز، ذهب داعش الأسود.. الإنتاج والتسويق، ابو ظبي، ١٣ ديسمبر ٢٠١٥:

https://www.skynewsarabia.com/middle-east/798840

٣- كولِن ب. كلارك وآخرون، السيناريوهات المالية المستقبلية للدولة الإسلامية في العراق والشام، RAND Corporation، نتائج من ورشة عملٍ لمؤسسة ((RAND، 2017. متاح على الرابط التالي:

https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/conf_proceedings/CF300/CF361/RAND_CF361z1.arabic.pdf

٤- مركز البيان للدراسات والتخطيط، خارطة نفوذ داعش في العراق وسوريا، نيسان ٢٠١٥:

https://www.bayancenter.org/2015/04/799/

٥- هاوارد چيه. شاتز و إيرين إليزابيث چونسون، الدولة الإسلامية التي عرفناها: رؤى متبصرة فيما قبل الظهور ودلالاتها، RAND Corporation، 2016. متاح على الرابط التالي:

https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/research_reports/RR1200/RR1267/RAND_RR1267z1.arabic.pdf

ثانياً_ المصادر باللغة الانجليزية:

1- Bassam Fattouh, How Secure Are Middle East Oil Supplies?, Oxford Institute for Energy Studies, WPM 33, September 2007.

2- Ercan Çitlioğlu, A Turkish Perspective on Syria, KONRAD ADENAUER STIFTUNG, p1. On:

https://translate.google.iq/?hl=ar&tab=wT&sl=ar&tl=en&text=%D8%B4%D9%88%D9%87%D8%AF%20%20&op=translate

3- LIU Xuejun & WU Lei, The Energy New World Order, Mideast Oil and US Energy Security, Journal of Middle Eastern and Islamic Studies (in Asia) Vol. 8, No. 3, 2014.

4- The financing of the 'Islamic State'in Iraq and Syria (ISIS), European Parliament, Policy Department, Directorate-General for External Policies, September 2017 - PE 603.835 .

Measuring and understanding the impact of terrorism, Global Terrorism Index 2017, Institute For Economics & Peace, 2017.